رهـــانات ترجمة النّص الأدبيّ

The translation bets of literary text

*دلاليّ إيمان★

تاريخ الإرسال: 2019/11/23 تاريخ القبول: 2020/06/29

الملخص: تستوجب التّرجمة بصفة عامة وترجمة النّص الأدبيّ بصفة خاصة الحيطة والحذر بالإضافة إلى التّقنيات والأساليب المتعارف عليها، ولكن تختلف التّرجمة الأدبيّة عن التّرجمة المتخصصة وبينهما فجوة شاسعة. فالتّقيد أو الإنزياح عن النّص يمكن أن يختل الأسلوب الأدبيّ وهو ما يطلق عليه الأمانة والخيانة المعنى ويواجه المترجم معضلة استحالة وقابليّة المصطلحات الأدبية، ولكن المطلوب من المترجم الحصول على ترجمة لها نفس تأثير قراءة الأصل بنفس الوتيرة حتى يقيم هذا الفعل التّرجمة ويسلم من النّقد.

الكلمات المفتاحية: النّص الأدبي؛ المترجم؛ الأمانة؛ الخيانة؛ المعنى؛ استحالة؛ المنهج التّأويلي؛ التّرجمة الحرة.

Abstract : The translation of the literary text needs carefulness and caution with the use of technics and methods , but there is huge difference between it and the specialized translation .The choice of the terms must be right and bright that the literary style not be touched and the is dilemma faced it the translator and his tasks is to save the same rhythm of the original text to not be criticized.

Keywords: Literary text, translator, probity, sens , imposibility ,interpretation approach free translation .

مقدمة: شهدت من المسائل النّقديّة حول التّرجمة، وما يحيط بها من ملابسات وصعوبات متعلقة بعمليّة نقل النّص المؤلف الأصليّ من لغة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى.

يدور موضوع الدّراسة حول التّرجمة الأدبيّة التّي تمارس وفق تداعيات لا تكاد تبتعد عن ظلال الإبداع الأدبيّ وما تفرضه ظروف المؤلف النّفسيّة والاجتماعية، الظاهرة والخفيّة من خلال عتبات النّص في لغة المصدر، ومن خلال ما يحاول المترجم إعادة إنتاجه وتمريره إلى قراء متعددين في لغة الهدف.

* جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، الجزائر، البريد الإلكترونيّ: dellali.imene@gmail.com (المؤلف المرسل).

وتستند إلى أسس موضوعيّة ومنهجيّة لا ينبغيّ ان يتجاهلها المترجم، وشاءت هذه النّوعيّة من التّرجمة أن تأخذ قسطا أوسع في مجال الثقافة وأشكال والألوان وبين العلاقات التّي تربط الأدب، والإشكال الذي يبقى مطروحا بين المترجم والمؤلف وإحداثيات الحصول على نصين متطابقين وكون النّص الثانيّ ظلا للنص الأول، أو صورة معكوسة في مرآته. وبأيّ مقدار يلتقي الأصل والظل أو الصورة وصاحبها، وأطلق العلماء والباحثون على عمليّة التّرجمة أوصافا كثيرة منها العنف، الخيانة، معتبرين إياها عمليّة اقتحامية. وفي هذا الصدد نستحضر المثل الإيطالي Traduttore,traditore والذي وضع كلاّ من المترجم والخائن في مرتبة واحدة حيث ساوى بينهما. وبالنّظر الى المترجم وعمله والدّوافع والصعوبات التّي تلقاها وهو يحاول الالمام بالنّص والتّعرف على مداخله ومخارجه وبمعانة السبب الذي ادى به إلى ترجمة هذا بدل ذاك ومعرفة البديل الذي وضعه للأصل يبدو انه قد تصرف حسب الحاجة مقربا المعنى أو متحفظا في نقله وفق ما يقتضيه العمل التّرجميّ أو مكيفا اياه حتى يستطيع ذهن القارئ امتصاصه. ومنه يتسنى لنا الاشتغال بطرق بعض العناصر على شاكلة:

- ✓ طبيعة العلاقة بين المؤلف والمترجم.
- ✓ وعمل المترجم في ظل الإبداع في ترجمة الأدب، وما يشترط فيه بوصفه ناقلا ووسيطا لغويا، قد يضاهيّ بإبداعه المؤلف الأصلي، وكيفيّة محافظته على النّص الأصلي.
- ✓ ومسألة خيانة النّص، ومدى ارتباطها بمشكلة المترجم الذي يجهل السياق الثقافي للمؤلف وما ينجر عن تعدديّة القراءة وظلال المعانيّ في النّص الواحد.
- ✓ ومدى إسهام المترجم في إبداع النّص المترجم.
- ✓ وظروف استدعاء التّرجمة الحرة أو الحرفية، إدراج التّكافؤ أو التّصرف وفق الحلة الثقافيّة لمتلقيّ التّرجمة كلها.
- ✓ ثم الحديث عن إمكانيّة المترجم الأدبيّ في بلوغ التّرجمة المثلى دون تعثر في مطبات النّقد اللاذع.

1. رهان محافظة التّرجمة على النّص الأصلي: تعتبر ترجمة النّص الأدبيّ من بين أنواع التّرجمة التّي وجدت فيها اختلافات واتجاهات اعتنقها كبار المفكرين والفلاسفة والعلماء والأدباء مركزين اهتمامهم الكبير على مشكلات "التّفسير" عامة في النّص الأدبي؛ والتّي تترجم عادة بـ Hermenetique الذي يخص النّصوص بكشف بنياتها الدّاخليّة والوصفيّة وبحثا عن الحقائق المضمرة التّي يحويها كل نص باختلاف أنواعه، وأهم ما نركز عليها في بحثنا المحتوى الأدبي.

والجدير بالذكر هو أن أهم ما جاء به المنهج التّأويليّ منذ بدايّة الأمر - خصوصا عندما يحتاج النّص الأصليّ إلى التّجسيد المعرفي - هو تفكيك أفكاره لشرحها حتى يكون حلا مبدئيا يتقصّده المترجم قبل التّرجمة.

فهو منهج يعرف أيضا بنظريّة المعنى، إذ لا يصح لنا الكلام عن التّأويل في التّرجمة دون الكلام عن المنظّرة دانيكا سيلوسكوفيتش Danica Seloslovitch ماريان ليدرارMarion Lederer وجون دوليل Jean Delisle جورج شتاينر George Steiner وهو المنهج الذي يتبعه جميع أعضاء مجموعة ESIT.[1]

1.1النّظريّة التّأويليّة للتّرجمة: نشأت هذه النّظريّة في أواخر الستينات ولم يتم إطلاق اسم نظريّة عليها إلا في السبعينيات من القرن الماضيّ على أساس الأبحاث في ترجمة المؤتمرات.

وكانت دانيكا سيلوسكوفيتش معتمدة على خبرتها في التّرجمة الفوريّة في تطوير هذه النّظريّة ومركزة على إحداث الفرق بين المعنى اللغويّ والمعنى غير المنطوق الكائن بين الأسطر، حيث يتم التّعرف على ذلك النّوع من المعنى عن طريق بحث طبيعة علاقته بعمليّة التّرجمة التّحريرية، التّي تتكون من مراحل ثلاث، تتمثل فيما يليّ:

❖**التّفسير والفهم:** la comprehension نخص بالذكر المعنى؛ إذ أن فهمه يبنى بانصهار اللغة التّي يتم تحيينها من قبل النّص من جهة وما سيتم نقله للمعرفة الثقافيّة المتصلة بالموضوع لمتلقيّ التّرجمة من جهة أخرى على أن تكون في أوضح صورة ولا يعتريها أيّ غموض أو لبس، لطالما كان هذا الموضوع يمثل النّقطة المشتركة التّي شغلتّ منظريّ التّرجمة مع الذكر أن النّص الأدبيّ من أصعب النّصوص وأكثرها تداخلا من ناحيّة تعدد مستوياته وبناه الدّاخليّة والخارجية، نظرا لما يحمله من ظلال للمعانيّ وما يحتمله من تناصات. وبالتّاليّ فإن ترجمته تتطلب مهارة عاليّة يتوجب نقلها في النّص المترجم. يكون المنهج التّأويليّ نتيجة مباشرة لنقص المعرفة الإدراكيّة ذات الصلة بالمعنى، وفي حالة نشوء إمكانيّة تعدد التّرجمة في المواقف التّي يكون فيها المعنى سطحيا يكون متاحا ولا يكون تحت تصرف المترجم جميع العناصر الإدراكيّة والمعلومات المكملة المطلوبة لاستخلاص المعنى، فيتصرف بطريقته وفي هذه النّقطة نستحضر نقص الأمانة معتبرين أن هذا الأمر حدود التّصرف فيه شبه منعدم وغير جائز، وهذا إذا أردنا التّقيد بالمعنى. وتبعا لقاعدة الانطلاق المهمة تناديّ بها ترجمة النّصوص الأدبيّة أو أيّ مادة نود ترجمتها والتّي تقر بـ: نص أصليّ وترجمة محافظة على المعنى والشكل بتكاثف وتظافر الجهود الفكريّة للمترجم بصورة كاملة لا جزئية، وتكون عمليّة الاشتغال على ترجمة نص أدبيّ ليست عملا يسيرا، بل هيّ جهد متعدد المستويات.

كما يتوجب عليه القيام بالتّرجمة التّفسيريّة في اللغة الواحدة؛ وذلك بتفكيك النّص إلى وحدات معنويّة وتحويل اللغة الأصل إلى لغة مفهومة تستوعب جميع المضامين التّي يحتويها النّص المصدر لإنهاء مهمته في اللغة الهدف وبلوغه ما يصبو إليه.

❖**التّجريد اللغويّ:** Déverbalisation يكون من الصعب اكتشاف هذه المرحلة في التّرجمة التّحريريّة على عكس التّرجمة الفورية، لأنها كامنة لما أراد المؤلف البوح والتّعبير عنه في نصه، ولذلك تستوجب

الصورة الموجودة في النّص الأصليّ البحث عن مدلولها والبحث بكل الوسائل عما يتطابق مباشرة معها لكن ما هو كثيرا ما يتعارض المترجم في اكتشاف المرادفات المقنعة.

❖ **إعادة الصياغة**:reexpression تكون حاجة المترجم ملحة لإفهام القراء الذين يجهلون اللغة الأصليّة ويفصل بنفسه بطريقة أكثر حياديّة بدافع اللغة التّي تفرض تعقيداتها على المتلقيّ والمترجم معا للتّعبير عن المعنى، والنّقل بصورة صحيحة مباشرة ومقبولة، نعنيّ بذلك البحث عن التّعبير الذي يعطيّ معنى للأصل في صياغته وتفسير معناه والكشف عن أسراره.

كما يتوجب الاهتمام أيضا بالسياق التّأويليّ: Le processus interpretatif فمن الأهميّة أن نستجليّ قبل كل شيء حقيقة التّناص، وأن نعلم بأنه ليس ثمة لغة يستدعيها المترجم بل هناك رموزٌ كتابيّة وبالتّاليّ لا يمكن أن يبدأ السياق التّأويليّ في الوهلة الأولى التّي تتكامل فيها معرفة المترجم للمفاهيم اللغويّة المتطابقة؛ بل يبدأ عند معرفته غير اللغويّة للحقائق التّي تعكس هذه المفاهيم الكامنة وراء ماهو لغويّ وما هو فوق لغويّ أملاه نوع النّص وعالم علاماته وبنيته وجنسه ومتطلباته، من خيال وعاطفة وظلال.

❖ **المكملات المعرفيّة**: Les complements cognitifs كل منا يعيش في بيئة ذات خصوصيات اجتماعيّة ومعرفيّة وثقافيّة ودينية، ومن الممكن أن تختلف عن بيئة النّص المترجم؛ بيد أنه من الضروريّ أن نكون على درايّة ببيئة مؤلف النّص الذي نواجهه ولو نسبيا حتى وإن كنا نجهل أصل النّص الذي نحن بصدد ترجمته. والمعنى أمر فرديّ يتباين فيه ثراء المفرداتّ بموجب المعرفة والخبرات الفرديّة. وفي الحقيقة أن لكل واحد حسب معرفته وردة فعل تأويله الخاص وفق مرجعيته؛ إذ يعد المعنى أمرا خاصا ويدع مجالا واسعا يتقاسمه الشريكان في التّواصل اللغويّ (المترجم والمؤلف).

2.1 علاقة المنهج التّأويليّ بالمناهج الأخرى: يتصدر المنهج التّأويليّ في التّطورات الحديثة في اللغويات النّصيّة في التّرجمة التّحريريّة مجموعة من المناهج وأحيانا يتداخل معها، كما أنه لا يجوز لنا الخلط بينه وبين التّرجمة التّفسيريّة التّي نادى بها بيتر نيومارك Peter Newmark التّي تتطلب طريقة دلاليّة في التّرجمة وقدرة تفسيريّة جد مبالغ فيها بذكر المسكوت عنه والإفصاح عن النّص لإزاحة الغموض عن ثقافة النّص الأصلي.

2.الأمانة والمعنى: اقترن مفهوم الأمانة بالتّرجمة الحرفيّة في ترجمة الكتب المقدسة التّنشيط حركة التّبشير في القديم فكانت أنجع طريقة لهم هيّ الحرفيّة حتى يتقيدوا بالمعنى، ولا يسقطوا منه شيئا، أما حديثا فقد وضع الخيار بين التّرجمة الحرفيّة والتّرجمة الحرة.

التّرجمة الحرفية: هيّ ترجمة تقتضيّ النّقل إلى لغة أخرى بطريقة وفيّة وخادمة للمعنى، لكنها لا تصلح في النّص الأدبيّ الذي يكون مفعما بالأحاسيس، فبمجرد النّقل الحرفي يكون ضمنه المتن والشكل

يضيع منا أحد العناصر، حيث وضع المترجم Schleirmacher شلاير ماخر التّرجمة الحرفيّة في وضعيتين قائلا:

"Either the translator leaves the writer alone as much as possible and moves the reader toward the writer, or he leaves the reader alone as much as possible and moves the writer toward the reader".[2]

ترجمتنا: "إما أن يترك المترجم الكاتب مكانه وينتقل إلى القارئ ويحمله إليه، أو أن يترك القارئ مكانه ويحمل الكاتب إليه."

- الحفاظ على النّص بإنتاج نص يجمع كل خصائص النّص الأصليّ بحذافيره حتى ولو اضطر إلى استخدام تراكيب غريبة عن اللغة التّي يترجم إليها، والغرض من هذا إبراز النّص الأجنبي، فهنا يكون قد احتك بميزة –التّغريب- .

- أو أن ينتج نصا في اللغة المترجم إليها طبق الأصل كما لو كان الكاتب قد كتب نصه في هذه اللغة فتكون ميزة - التّجنيس- .

فالنّقل الحرفي ليس بالأمر الهين، لما يحمله في ثناياه من صعوبات متعددة، يستعصي إصلاحها في التّرجمة الحرفية؛ إذ يتوجب على المترجم نقل جميع أفكار الكاتب وكلماته وفي الوقت نفس ايجاد مقابل لها في اللغة التّي يترجم إليها، وعلاوة على هذا كله ينحصر مع عدد الكلمات وموسيقاها.

على سبيل المثال في البيت الشعريّ للمتنبيّ:

الخيـــــل والليـــــل والبيـــــداء تعـــــرفنيّ والســـــيف والـــــرمح والقرطـــــاس والقلـــــم

هنا نتحدث عن شاعر من الفترة الزمنيّة القديمة عصر الدّولة العباسيّة وقت بزوغ نشاط حركة التّرجمة وازدهارها، أيضا الشعر الذي يعد من أصعب أنواع التّرجمات.

لو حاولنا ترجمته إلى اللغة الفرنسيّة مقترحين:

Le cheval, la nuit et le désert me connaissent *** l'épée, la lance, la feuille et le stylo

نجد أن البيت الشعريّ في اللغة العربيّة يحمل في ثناياه رموز القوة والاعتزاز والفخر

ورموز بطوليّة ورجوليّة –virile–وهذا ما كان يعرف به شعر أبو الطيب المتنبيّ صاحب كبرياء وشجاعة وطموح وحبه للمغامرات، واعتزازه بعروبته، وتشاؤمه وافتخاره بنفسه، وفي الفرنسيّة نلحظ نوعا من الجمود اللغويّ لا يعكس جمال اللغة العربيّة؛

وبالتّاليّ نفهم أن التّرجمة الحرفيّة لم تخدم الحالة والظاهرة الشعريّة معا.

1.2التّرجمة الحرة: نقصد بها التّرجمة التّي تعير الأولويّة للمضمون والمعنى والرسالة التّي ينقلها الكاتب بصرف النّظر عن التّعابير الغريبة التّي يستعملها المترجم، ولهذا اتبعها رواد النّظريّة التّأويلية.

كما نجد أيضا أن نظريّة المعنى في النّظريّة الوظيفيّة Skopos theorie وهيّ عبارة يونانيّة تعنيّ الهدف أو الغرض، بمعنى أن الجهة التّي تكلف المترجم بالتّرجمة هيّ الجهة نفسها التّي تحدد الغرض من التّرجمة المطلوبة. ولكن المترجم هو الذي يحدد الأسلوب الذي سيتبعه للإيفاء بالغرض، لأنه يمثل الشخص الخبير والمتخصص، الذي له كامل الحريّة في اختيار كلماته وأساليبه بأيّ درجة يحق له التّمسك بالنّص الأصليّ (ولو أن هذا ليس معياراً، لأنه يمكن أن يتلقى نقدا لاذعا)، فالتّقرب إلى النّص والانزياح عنه وفق ما يراه مناسبا ليس حريّة شخصيّة يمارسها على النّص المصدر كما يريد.

فبفعل غرابة النّص تنتج التّرجمة الحرفيّة وفي الوقت ذاته نجد فحوى النّص المترجم بواسطة التّرجمة الحرة.

2.2المعنى: يقوم أساس الفعل التّرجميّ على قضيّة المعنى، لا تزال إلى يومنا هذا مجالاً خصباً للنقاش في علم اللسانيات والفلسفة، ومن الباحثين من يرى أن المعنى غير معروف وتبادل الأفكار باللغة الواحدة في بعض الأحيان يكون غير ممكن وتخترقه بعض الصعوبات؛ لأنه يمكن أن يكون ما أراد المرء التّعبير عنه وإيصاله للطرف الآخر يكون بمعنيين، قد يفهم الأول ويغيب الثانيّ أو العكس صحيح.

أما اللسانيّ Ferdinard de Saussure فرديناند ديّ سوسير الذي يرى أن معنى الكلمات هو معنى نسبيّ إلى الكلمات الأخرى، حيث إن المرادفات والمكافئات لا تغطيّ مجال المعنى ذاته في اللغة الواحدة وهذا ما ينفيه تماما؛ إذ أن معنى كلمة يختلف عن اخرى ولو بجزء ضئيل، وهذا تفاوت نجده في اللغة الواحدة ما بين المرادفات فما ما بالك ما بين اللغات؟ .

و على المترجم الاهتمام بالمعنى الإضافي الذي تحمله المفردة والتّي يمكن أن تنعت بعبارات متعددة ويكون شرحها واسع المفهوم: المعنى العاطفي Le sense emotive، المعنى الإيحائيّ Le sense evocative، المعنى الدّيناميّ Le sense dynamique، كما نجد أيضا دلالة ذاتيّة dénotation، وآخر ضمنيّ connotation.

المعنى الضمنيّ هو مجموعة من الرموز التّي تدخل حيز الدّلالة الذاتية.

كما تناول أيضا يوجين نايدا قضيّة المعنى مقسما إياه إلى: معنى لغويّ Le Sense linguistique يقصد به المعنى الذي تكتسبه الكلمة بحكم سياقها اللغويّ وعلاقتها بالكلمات الأخرى أيّ في وسط الجملة التّي تأتيّ فيها الكلمة ويستحيل معناها آلياً في هذا السياق اللغوي.

ومعنى عام Le Sense référentiel، المعنى المتعارف عليه الذي نجده في القواميس فالأول مجرد والثانيّ شبه ملموس.

نرى أن المعنى نتاج العمليّة الذهنيّة المترتبة عن الفهم والاستيعاب وتحليل المعنى غير منفك عن عمليّة التّواصل التّي تكون بين المترجم ونصه، فيحاول قدر المستطاع الوصول إلى المغزى والجوهر لتثبيث المعنى، الذي هو ترتيب غير لفظيّ ناتج عن كل عمليّة وجهد فردي، حيث إن أمانة المعنى

تتحدد في التّرجمة بمحاولة الحصول على المعنى نفسه وذلك على الرغم من مجموع التّغيرات الثقافيّة الاجتماعيّة والسياسيّة ... إلخ وهيّ تختلف من مجتمع لآخر.

نجد بعض العوائق في المعنى التّي تعكر صفو التّرجمة، فتخدش فحواه على الرغم من الحرص الشديد للمترجم في عمليّة نقله من النّص بكل أمانة ووفاء، حيث إن الاختلافات اللغويّة بين النّص المصدر والتّرجمة، ومحاولة خلق نسبيّ يؤديّ إلى اختلافات على المستوى التّركيبيّ والدّلاليّ مثلا بين الإنجليزيّة والعربية، اختلاف ثقافة المؤلف ومترجمه، اختلاف العصر خاصة إذا كان المترجم يعمد إلى ترجمة نص تراثيّ قديم يحتويّ على مكونات ثقافيّة في تلك الحقبة الزمنية، حاول المترجم إدخال شيء من العصرنة عليها أثناء ترجمته. فالبعد الزمنيّ هو المتغير الأكثر تحديدا في الأمانة للنص المصدر واختلاف المتلقيّ يكون في اللغة الهدف. الأمر الذي جعل الالتّزام بالأمانة في التّرجمة الأدبيّة أمرا شبه مستحيل. ولأن الأدب ينتشر على نطاق واسع في بقاع الأرض جعلنا نجهل السياق الاجتماعيّ والثقافي والتّاريخيّ للمتلقي؛ إذ هناك من يتلقاه بصدر رحب وآخر عكس ذلك تماما على أنه مشوه على المستوى الثقافي، ذلك لأنه يخرج في الصورة التّي لا تتوافق مع القيم والمعتقدات والأعراف، التّي يعتنقها صاحب اللغة الهدف.

تقتضيّ الأمانة نقل الرسالة كما هيّ باستخدام ألفاظ اللغة الهدف، ووجود علاقة مبتغاة بين النّص المصدر وترجمته. وقف George Mounin جورج مونان على مختلف طرق التّرجمة فصنفها إلى نموذجين:

سمى الأولى بـ Les verres colorées الزجاج الملون أو غير الشفافة تعمل على إعطاء الانطباع أن المترجم قد كتب بلغة المترجم، وهذا يقربنا من الشكل الجميلات الخائنات

وهذا قد ينسبه المترجم إلى نفسه ولكنه لا يعطينا أيّ أحساس بالخيانة لقوله:

" Traduit par une sorte de pastiche extrêmement subtil et non caricatural, on le dit encore dans sa langue originale "[3]

ترجمتنا: "ترجم بطريقة مقلدة ودقيقة للغايّة وليس بشكل كاريكاتوري، كما لو كان النّص الأصلي".

ودعا الثانيّة Les verres transparents الزجاج الشفاف وهيّ التّي تعمل على ترجمة النّص بطريقة حرفيّة أو كلمة بكلمة، وبذلك تجعل من القارئ كأنه يقرأ الأصل.

وهذا مايراه جورج مونان في ترجمة النّصوص ما بين الأمانة والخيانة. لقوله:

"traduire mot à mot de façon que le lecteur à toujours l'impression dépaysante lire le texte dans les formes originales "[4]

ترجمتنا: "ترجم كلمة بكلمة وهذا التّعاطيّ انطباع دائم للقارئ عن غرابة عن النّص الأصل "

يصف جورج مونان التّرجمة بأنها قبيحة ووفيّة أم حسناء وخائنة، ويشير هذا التّعبير إلى تفضيل الالتّزام بترجمة كل مكونات النّص الأصلي، ونقلها بحذافيرها إلى اللغة الهدف، أو لم يستصغها المتلقيّ

باللغة الهدف، فأصحاب هذا المبدأ يدافعون عنه بوصفه تجسيدا لأمانة النّقل في عمليّة التّرجمة، وهم يرون بأن التّرجمة الحرة التّي ينجزها المترجم متصرفا في النّص الأصليّ ليخرج بصورة جميلة في اللغة الهدف هو محض خيانة، ويلتّزم أنصار (القبيحة الوفية) بهذا النّهج خاصة عند ترجمة النّصوص المقدسة والدّينية، إذ أنهم يرون أن أيّ زيادة أو نقصان في المحتوى الأصليّ هو نوع من التّحريف، حتى وإن نجح المترجم في توصيل المعنى نفسه.

أما من يرون ضرورة الاهتمام بالقيمة الجماليّة للنص المترجم، ويركزون على ضرورة أن تكون ترجمتهم يكتنفها نوع من التّحريف خدمة لجماليّة التّرجمة هم من دعاة (الحسناء الجميلة)، حتى وإن تصرفوا في النّص الأصليّ ليخرج بصورة تلائم ثقافة النّص الهدف تتركز معظم أعمالهم في مجال التّرجمة الأدبية وهم لا يرون غضاضة في التّصرف في النّص الأصليّ ما داموا قد استطاعوا الحفاظ على المعنى. فمن الضروريّ أن يكون المترجم بين كليهما بين مطرقة الحفاظ على معنى النّص وسندان الاهتمام بالشكل .لأنه من الممكن جدا الحصول على ترجمات جميلة وفي الوقت نفسه أمينة إلى حد كبير لدرجة توافقها مع النّص الأصليّ في كل حيثياته دون أيّ حذف أو إضافة.

تشد التّرجمة الأدبيّة اللغة وتتحكم فيها بوصفها رؤيّة للعالم من جهة، وحضارة هذه اللغة باعتبارها مهدا لها من جهة أخرى، فضلا على أن التّرجمة الأدبيّة هيّ الأمانة على المعنى أكثر مما هيّ أمانة على اللفظ. ومن الإشكالات التّي أفرزتها التّرجمة الأدبيّة والتّي تتصل بجوهر نظريّة التّرجمة، مفهوم التّناظر أو التّعادل بين النّص المترجم الذي صيغ بلغة الهدف، وبين أصله في لغة المصدر. فالتّناظر مفهوم إشكاليّ خلافي، ينطويّ على إشكاليّة كبيرة ومعقدة، لا تتصل بالمضمون فحسب، بل بالجانب الأسلوبيّ والجماليّ.

إن اختلاف التّوجهات النّظريّة في الفعل التّرجميّ نتج عنه اختلاف مفهوم الدّقيق في تحديد الأمانة التّي على المترجم أن يتوخّى عواقب التّنحيّ والانزياح عنها التّي هيّ بؤر العمل التّرجمي.

ثمة ظروف تحيط بالنّص والمترجم تفرض نفسها وهيّ التّي تنير دربه وانتهاج أسلوب معين لا غيره يدفعه إلى التّقيد به فمثل هذه الظروف تجعل من المترجم لا يتمتع بالحريّة التّامة وإنما يكون مقيدا إما بفعل الثقافة أو بغياب مكافئ المصطلح أو إيجاد المقابل الأنسب آملا هذا الأخير أن تكون ترجمته مرموقة بين متلقيها في ظل الأمانة، ومنه علينا أن نذكر بأن الأمانة لا تتحقق إلا بمدى الكفاءة والاحترافيّة ولو بشكل نسبيّ.

3.التّرجمة المثلى بين حدود الممكن والمستحيل: إذا ناقشنا مسألة الأمانة والخيانة في التّرجمة، وتحدثنا في الأمر فإنه لا يكاد يكفي الكم الهائل من البحوث السابقة التّي عالجت هذه القضية، وهيّ بالفعل تستحق عناء الدّراسة المعمقة. لنقفز كرة أخرى إلى وثبة استحالة وإمكانيّة التّرجمة، وعدم إمكانيّة نقل جميع ما

تحمله المفردة من معان إلى لغة أخرى. فلهذا نجد أن قضيّة عدم قابليّة التّرجمة Intraduisible مصنفة إلى ثلاثة مستويات:

الفلسفيّة: هيّ التّيار الذي أنكر استحالة التّواصل بين البشر وعدم نقل أفكار الفرد إلى الطرف الآخر وظهرت النّظريّة التّي توافقها الرأيّ هيّ النّظريّة الوحدانيّة اللغويّة Sopolisme linguistique[5] ومن روادها Humboldt[6] هامبوالتّ الذي يقر ويعترف بأن أوضح الكلام وأكثره واقعيّة لا يستطيع أن يثير الأفكار والأحاسيس التّي يسعى الفرد جاهدا للتّعبير عنها.

أما من النّاحيّة اللغويّة: فتباين اللغات فيما بينها واضح ليس فقط من حيث المفردات ومعانيها، بل أيضا يشمل علاقة هذه المفردات فيما بينها، وأن العناصر اللغويّة عالميّة تشترك بين جميع اللغات فالسلسلة التّركيبيّة للجملة تتألف من خمسة عناصر تنتميّ إلى خمس فئات عامة تحدد العلاقة بينها حيث نجدها في أيّ لغة.

والفئات الخمس قد حددها اللسانيّ جورج مونان كالتّاليّ:

هيّ كلمات غير مستقلة تحتاج إلى عنصر آخر يوضح وظيفتها: Monème dépendant هيّ كلمات مستقلة ليست بحاجة لما يوضح وظيفتها :Monème autonome

هيّ كلمات وظيفيّة كأحرف الربط مثلا: Monème fonctionnel

الأفعال وهيّ مهمة بطريقة موضعها المركزيّ والمحوريّ والتّي بها نرنوا نحو : Monème prédicatif المعنى الابتدائي.

الصفات :Modificateur

حيث يقول جورج مونان:

"Que toutes les langues humaines, sur ce point, recourent aux mêmes types de procédés, et constituent par là une même famille technologique d'outils de communication, ceci est un fait qui limite les difficultés ou les impossibilités de la traduction..."[7]

ترجمتنا: "تشترك كل اللغات البشريّة في هذه النّقطة، كما أنها نفس مرجعيّة الأساليب وبالتّاليّ تشكل من هنا نفس أسرة الأدوات التّكنولوجيّة للتّواصل، وهذه الحقيقة تحد من صعوبات واستحالات التّرجمة".

ونفهم من هذا القول إن كل هذه أدوات مساعدة، ولا تعيق عمل المترجم؛ لكن ما يصح لنا قوله إن في بعض الأحيان لا تسعه عندما يتعلق الأمر بالتّركيب لا سيما أن ما يميز لغة عن أخرى ليس المفردات التّي نستخدمها للتّعبير، بل طريقة التّحليل للفعل مثل ما نجده في اللغات: العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة.

أما على الصعيد الثقافي فالإنسان بطبيعته البيولوجيّة والإيديولوجيّة يدخل في تبادل الآراء فهيّ حاجة بشريّة فطرية، فنلاحظ أن هناك عناصر عالميّة تشترك فيها لغات العالم بأسره فنجد أيضا الثقافات تشترك هيّ الأخرى في نقاط وتختلف أيضا في نقاط أخرى، ومنها العناصر الفلكيّة فكوكب الأرض هو الجامع للشعوب في المجرة ذاتها.

أيّ إننا نجد بعض الصعوبات مثلا في ترجمة الشعر على الرغم من أن هناك من ينفي- وبشدة- ولو ترجمة بيتاً شعريّاً مثل Roman Jakobson رومان جاكبسون الذي يرى ذلك نظرا لغياب الصورة الشعريّة والافتقار لطبيعة الأجواء اللسانيّة والثقافيّة الحضاريّة التّي تتلف في التّرجمة، أضف إلى ذلك رنينها الموسيقيّ ومزاياها العروضيّة البلاغيّة مشبها إياها" بالنّثر المحايد التّافه"، والجاحظ يؤيده الرأيّ وكان ذلك جليا في إنكاره لقابليّة ترجمة الشعر في كتابه الحيوان.

ونستحضر مثالاً عن تعذر نقل الإيقاع والوزن الموسيقيّ من أكبر المشاكل التّي نواجهها في التّرجمة الأدبيّة عامة وفي ترجمة الشعر خاصة، إذ أننا نجد التّرجمة تحفظ شكل الشعر شعرا بصدر البيت وعجزه وأخرى بالشعر نثرا وشطب الوتر الموسيقيّ له، مثل الشاعر ابن زيدون:

لو شاء حملى نسيم الصبح حين سرى وافاكم بفتى أضناه ما لاقى

ابن زيدون

التّرجمة الشعريّة — Reynold Alleyne Nicholson

Ah, mightthe zypher waft me tenderly,
Worn out with anguish as I am, to thee I
O treasure mine, if I love e’er possessed

التّرجمة النّثريّة — Arthur John Arberry

Had the zepher’s breath when it blew wished to transport me, it would have brought to you youth emaciated by what he had encountered.

الشاعر الأندلسيّ ابن زيدون الذي يتغنى بمدينة الزهراء التّي ولد فيها وكل ما يراه من حوله يسترجع الذكريات ويهيج عواطفه، وعدم استقراره لذا يرد وصفه في حملى نسيم الصبح: استعارة مكنيّة. شبه النّسيم بإنسان يحمل. إذ يتمنى الشاعر لو استطاع نسيم الصباح حمله بعد ما أتعبه الشوق والحنين.

كما تعرض محمد عنانيّ للتّرجمة الأدبيّة مخصصا قسطا كبيرا منها لتّرجمة الشعر وصعوبة إحداث معادلة وليس استحالة قائلا:

"فإن مترجم الشعر يحاول أو نحن نتوقع منه أن يحاول إيجاد الإيقاع الذي ينقل معنى الإيقاع في اللغة المنقول منها. أيّ أنه لن يأتيّ بالقوالب الصوتيّة نفسها والتّي ترتبط – كما سبق أن ذكرت – بالكلمات الأصلية، ولكنه مثلما يحل كلمات عربيّة محل الكلمات الأجنبيّة سوف يحل الإيقاع الأجنبي. ومثلما يجد

من الصعب عليه أن يأتيّ بكلمة تترادف ترادفا كاملا مع الكلمة الأصلية، سيتعذر عليه إيجاد الإيقاع الذي يعادل تماما الإيقاع الأصليّ. فلكل لغة إيقاعها، ولكل إيقاع أصوله وتنويعاته."[8]

وليس على المترجم التّمسك بدرجة اليأس ولكن يجد ويجتهد ويثابر فهناك أشعار قد ترجمت وبجدارة حتى ولو كانت مجرد محاولات، حتى لا نسحب قراءة الشعر مثل: الإلياذة لهوميروس والأوديسا وروائع شكسبير وغوته. وترى الدّكتورة إنعام بيوض أن الأدب الروائيّ أقل تضررا من الشعر وبالإمكان ترجمته فتقول:

" أن مهمة المترجم الأدبيّ تتمثل فقط في نقل قصيدة أو روايّة من لغة إلى أخرى ... فالشعر يمكن ترجمته إذا كان المترجم من الشاعريّة ورهافة الحس بحيث يستطيع أن يلج عوالم الحميمة، وأن يكون متمكنا من اللغتين ... وينقلها بأمانة لا تفوق عبقريّة الشاعر ولا تخذلها."[9]

أما استحالة التّرجمة بالنّسبة لها فقد حصرتها في ثلاثة محاور.

- المحور التّركيبي؛
- المحور الأسلوبي؛
- المحور الثقافي.

أما تعذر التّرجمة بالنّسبة Catford لـ كاتفورد فميزها في نوعين وهما:

اللسانيّ Linguistique والثقافي Culturelle.

❖ **اللساني**: هيّ عند استحالة إيجاد تعويض العنصر المعجميّ أو التّركيبيّ فهذا يشكل غموضا، فبعض ما تطرحه السمات الأسلوبيّة الخاصة بكل لغة ليس آخر مشكلة؛ بل نجد أيضا معضلة الجمل الطويلة والقصيرة والتّوابع والجمل المعطوفة وسمتها الوظيفيّة فهيّ ليست تنويعات اعتباطيّة وجدت للتّنميق، بل يجب على المترجم التّركيز عليها وأخذها بعين الاعتبار،متوخيا الحذر في ترجمتها لا إهمالها والتّحليق حول معناها أو التّعرض لشرحها بصورة هامشية.

❖الثقافي: يكون الاختلاف الثقافي والحضاريّ بين اللغتين محدثا الشرخ في التّرجمة فتقول Bassent Susan:

"On the linguistic level، untranslatability occurs when there is no lexical or syntactical substitute in the TL for an SL item … whereas cultural untranslatability is due to the absence in the TL culture of a relevant situational feature for the SL text.[10]"

ترجمتنا: "يبرز تعذر التّرجمة اللسانيّ عندما تنعدم إمكانيّة تعويض عنصر معجميّ أو تركيبيّ في اللغة المتن بآخر في اللغة المستهدفة، بيد أن تعذر ترجمة الثقافي يبرز عندما تكون إحدى الوضعيات المتميزة والهامة من النّاحيّة الوظيفيّة لنص اللغة المتن غريبة تماما عن الثقافة التّي تعتبر اللغة المستهدفة جزءا منها."

مفاد مسألة قابليّة التّرجمة وعدم قابليتها تنطلق من فكرة أن لكل منا طريقته في التّعبير عن نفسه حسب ثقافته وحضارته التّي ينتميّ إليها معبرا بألفاظ مختلفة، وكل واحد يتفنن في ذلك بالعربيّ كان أو بالغربي. بيد أن هذه ليست قاعدة عامة وشاملة فهناك استثناءات وحالات خاصة لا نجعل منها عقبة تقف في وجه المترجم وتعيق مسار عمله.

4.ترجمة مثلى – التّرجمة الإبداعية- :

إن التّرجمة الأدبيّة من أصعب أنواع التّرجمات لأنها تعتمد وبصورة كبيرة على التّذوق من الخيال المبدع "المترجم" وتكون صورة المادة الإبداعيّة "التّرجمة" غير حرفيّة مقترنة بمفهوم الأمانة وعدم الانزياح عن النّص الأصلي.

فالدّافع الإبداعيّ يكون بالدّرجة الأولى عند المؤلف ليتحدى به المترجم في ثقافة المستهلك باعتباره عمل إبداعيّ باللغة الثانيّة. فلا شك أن يكون المؤلف مبدعا يقابله مترجم مبدع فمن الممكن أن تكون القدرات الإبداعيّة متقاربة بينهما، وذلك لشغف كل منهما لعمله

وإصراره للنجاح فيقول وايزبيرغ:

" أن الدّماغ "المبدع العظيم" في كل منه دماغ أيّ شخص آخر. غير أنه يخطئ إذ يقول إن جميع الأدمغة المختلفة قد خلقت متساوية. ومع أن الأدمغة المختلفة قد تبدو متشابهة، إلا أنها تقوم بوظيفتها بأسلوب مختلف على نحو ما."[11]

وإذا كنا قد تحدثنا عن مواصفات المؤلف ومواصفات المترجم الكفء، فها نحن بصدد التّحدث عن التّرجمة المنتوج التّرجميّ وكيفيّة استمتاع المتلقيّ بنص محكم الصياغة ومستوفي الشروط والمعايير والضوابط التّي تتحكم في ترجمة صحيحة وموفقة، تتوفر في أيّ ترجمة نص أدبيّ يتحسس المتلقيّ من خلالها شخصيّة وأسلوب المؤلف الأصليّ واستمتاعه بالتّرجمة في لغته الأصل عن طريق المترجم.

نقصد بترجمة أدبيّة إبداعيّة أيّ ترجمة حملتّ في مخزونها طاقات رائعة ومزايا فنيّة تميز هذا العمل الأدبيّ عن باقيّ الأعمال الأخرى، غير قابل للتّكرار وخروجه عن العادة حيث إنه يتوازى مع النّص الأصليّ شريطة أن يكون في حد ذاته الأصل حس الإبداعيّة ومتميز من النّاحيّة الفنيّة. في مرحلة تقييم التّرجمة توجه أصابع الاتهام صوب تجربة وكفاءة ومراس المترجم دون تقييم نوعيّة العمل المترجم عنه.

فأسس تقييم التّرجمة في الحقل النّظريّ تسمى بترجمة مثلى أو بالأحرى موفقة ووقوفها على خط وتيرة الإبداع يجب أن تتضمن مايليّ:

- الإتيان بالمعنى الدّلاليّ والإيحاءات كما وجدت في النّص الأصليّ.
- أن تحدث في القارئ المتلقيّ تأثير قارئ العمل الأصليّ نفسه.

وإذا تقيد المترجم الأدبيّ بهذه الخصائص يمكن له الحصول على ترجمة جيدة، كما يمكن أن يقيمها الآخرون بأنها مقبولة أو ممتازة أو مجرد أنها صالحة.

فالوصول إلى ترجمة مثلى ليس صعب المنال، والحصول عليها ليس أيضا درب محال حتى لا نعطيّ نظرة تشاؤمية.

خاتمة : تعد التّرجمة الأدبيّة من أصعب أنواع التّرجمة، فقد سعت هذه الدّراسة إلى أن تكون خطوة ولو صغيرة جدا نحو إظهار المترجم في اتخاذ قراراته وممارسة مهامه وما يحيط بهذه العمليّة من المخاطر التّي يكون المؤلف في غنى عنها، وبلا شك يمر النّص بتحولات كثيرة ،و لكننا - دائما- نركز على التّوصل إلى المغزى وهو –نص مترجم يبعث في قارئه الأثر الذي يبعثه النّص الأصليّ في قارئه إذ يسعى المترجم الأدبيّ جاهدا باستخدام تقنيات التّرجمة وأساليبها كما يراها مناسبة حسب الومضة الأدبيّة المراد ترجمتها وليس جديدا على المنظومة الأدبيّة مناقشة مزايا التّرجمة الأدبيّة ومساوئها بصفة عامة من حيث الأمانة، والمعنى بصفة خاصة، وهذا النّوع من التّرجمة أو ذاك سواء كانت حرفيّة أم حرة أم كلمة بكلمة أم حتى التّأويليّة أم التّفسيرية، واستحالة التّرجمة وإمكانيتها بل المهم التّنويه على كل من المترجم والمؤلف معا، فالأول مبدع في نص غيره معيده بلغة أخرى يفهمها قراؤه، و المؤلف صاحب النّص، ولولا المترجم لما تسنى لنا قراءة النّصوص المكتوبة بلغات أخرى، ولما تمكنا من التّعرف على علوم الأمم الأخرى وآدابها ولولا المؤلف لما وجد المترجم، ثم إن زوال اللغات والاجتهاد في التّعرف على الجديد منها والإضافات التّي يحاول المنظرون الارتقاء بها هو الهدف الأسمى. ولذا لا ينبغيّ أن نضعهما في مضمار سباق، فهما في رتبة واحدة، وإن كانت المسؤوليّة الأكبر تقع على عاتق المترجم.

الهوامش:

[1] ESIT - المدرسة العليا للمترجمين الشفويين والتّحريريين أو (ESIT)هيّ منشأة تعليميّة عليا، تابعة لجامعة السربون الجديدة – باريس3، تأسست عام 1957م. تمنح المدرسة العليا الحاصلين على شهادة البكالوريوس، شهادة الماجستير المهنيّ في 3 مجالات هي: «التّرجمة الشفويّة للمؤتمرات» و«التّرجمة التّحريرية، اقتصاد وتقنية» و«التّرجمة الشفويّة للغة الإشارة الفرنسية» كما انها تمنح بالإضافة إلى ما سبق، شهادة الماجستير البحثي والدّكتوراه في علم التّرجمة.

2 Fredrich Schleirmacher,On the Different Methods of Translating, In Schulte, Rainer and John Biguenet. Theories of Translation: from Dryden to Derrida. Chicago and London: The University of.Chicago Press, 1992, p. 42.

3George mounin, Les belle infidèles, Press universitaires de Lille ,1994, 1ère édition p91.

4George mounin,Les belle infidèles, Press universitaires de Lille ,1994, 1ère édition p74 .

5 الذاتويّة أو الإيمان بالذات بالإنجليزية Solipsism :اشتق الاسم من الكلمة اللاتينيّة solusبمعنى "منفرد" و ipseبمعنى "ذات" وهيّ فكرة فلسفية تقول بأنه لا وجود لشئ غير الذات أو غير الأنا أو لا وجود حقيقيّ إلا لعقل الفرد وهيّ موقف معرفي يقول بأن المعرفة المتعلقة بأيّ شيء خارج عقل الإنسان غير مؤكدة، وأنه وفق هذه الرؤيّة المعرفيّة لا يمكن معرفة العالم الخارجيّ والعقول الأخرى، بل إنها قد لا توجد البتة خارج عقل الإنسان، وكنظرة ميتافيزيقيّة تجنح الذاتويّة إلى القول بأن العالم الخارجيّ والعقول الأخرى غير موجودة، وبهذا يكون هذا الموقف المعرفي بادعائه نفسه غير قابلاً للنقض كما أنه غير قابل للاثبات في نفس الوقت.

6 فريدريك فلهيلم فون همبوالتّ بالألمانية Wilhelm von Humboldt :ولد في 22جوان 1767 وتوفي في 8 أفريل 1835 . هو موظف حكومي،دبلوماسي، فيلسوف، مؤسس جامعة هامبوالتّ ببر لين،يذكر غالبا على أنه لغوي، كانت له إضافات هامة في حقل فلسفة اللغة ومسألة التّعليم من ناحيّة نظريّة وعملية.

7 Mounin, Georges, Les Problèmes Théoriques de la Traduction, Gallimard Editions, Paris, 1963, p262 .

8 محمد عناني، التّرجمة الأدبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، مكتبة لبنان، ناشرون الشركة المصريّة العالميّة للنشر –لونجمان ،1997، ص 96.

9 إنعام بيوض، التّرجمة الأدبيّة –مشاكل وحلول، بيروت لبنان، دار الفارابي، 2003 ،الطبعة الأولى، ص54.

10 Bassent Susan, Translation studies, Routledge, london and new York ,2002 3rd edition, p39.

11 كارل هـ .بفنغر وفاليريّ ر. شوبيك تعريب مها حسن بحبوح، مناهل إبداع، مكتبة العبيكات ،1424 هـ/2003م الطبعة العربيّة الأولى ،ص 442.